"آيتان يخوف الله بهما عباده"

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف :

<http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

الحمد لله رب العالمين ....

الحمد لله العظيم الشأن ...

صاحب العظمة والسلطان ...

خلق الإنسان وعلمه البيان ....

وسخّر الشمس والقمر بحسبان ....

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الواحد الديّان وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آ له وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد:

معاشر المؤمنين أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى ﭽﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ آل عمران: ١٠٢

تناقلت وسائل الإعلام وأجهزة التواصل الأنباء الصادرة من علماء الفلك بأن العالم سيشهد مساء هذا اليوم الجمعة أطول خسوفٍ للقمر في القرن الحادي والعشرين في ظاهرة فلكيةٍ فريدةٍ تحمل في طيّاتها آثاراً إيمانيةً و علميةً وتربوية ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ ق: ٣٧

وهذه الظاهرة الكونية المهيبة ليست بغريبة ؛ ولكن الغرابة في تجاهلها والغفلة عن حقيقتها وأسبابها ، فقد حدثت هذه الظاهرة الكونية في زمن النبي وذهب ضوء القمر وزال جماله.

فماذا أحدث النبي من أقوال وأفعال في هذا الحدث الرهيب ..

تواترت كتب السنة واستفاضت بنقل الأخبار الواردة عن النبي يوم خسفت الشمس.

ولك أن تتأمل رعاك الله في حاله عند خروجه، وقيامه، وصلاته ، وظاهره ، وباطنه ، وهو العليم بربه .

فقد خرج في يومٍ شديد الحر من بيته إلى المسجد مسرعاً ، يجر إزاره ، فزعاً ، فَبَعَثَ مُنَادِيًا:

«الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ» .. «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»

فما الذي أفزعه ؟ ماذا حدث ؟

ماذا جرى في الكون ؟

انكسفت الشمس ، تغيّر شكلها ، ذهب ضياؤها ،

انكسفت الشمس في عهد النبي فنادى في الناس، واجتمع الصحابة في المسجد ، وخرج النساء والأطفال ، وصلّوا خلف النبي صلاة طويلة خاشعة أطال فيها القيام والركوع والسجود حتى إذا قضى النبي صلاته التفت إلى أصحابه فقال : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللهَ حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ » متفق عليه .

وها هو الحدث يتكرر وتتواتر الأخبار إلينا عن خسوفٍ للقمر بعد بضع ساعات ، لكن السؤال ماذا سيصنع ويغير هذا الحدث العظيم في نفوسنا ؟

كيف سيكون فزعنا وخوفنا ؟ كيف سيكون حالنا في مثل هذه الليلة ؟

هنا نقطة الافتراق يا عباد الله لقد أصبح الخسوف والكسوف حدثاً عاديا ضعيفاً على قلوبنا لا يقدم ولا يؤخر في نفوسنا ، لقد نجحت وسائل الإعلام في تهوين آية الخسوف التي يخوف الله بها عباده .

كنّا إلى عهدٍ قريب إذا انكسفت الشمس أو انخسف القمر فزعت قلوبنا، ودمعت عيوننا، وهرعنا إلى بيوت ربّنا خائفين تائبين متضرّعين، وعلمنا بفطرتنا وعقيدتنا، إنّ ما يحدث في الكون من تغيّرات وفيضانات وسيول وخسوف.

رسالة من الله لأهل الأرض تخاطبهم بعظمة الخالق وعجز المخلوق، وقدرة الله وضعف المخلوق وأن هذا الخسوف والكسوف غضب وتخويف وإنذار للعباد .

أما اليوم فقد وهنت فينا حمى الإعلام ، فعميت البصائر وبدلت الحقائق وأصبح حالنا مع الخسوف والكسوف والسيول والزلازل يشكى إلى الله ...

أَمَا قرأنا في كتاب ربّنا أنّ الزلازل والخسوف والكسوف من أحداث وأهوال يوم القيامة ؟

ألم نقرأ في كتاب الله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ الحج: ١

ألم نقرأ في كتاب ربنا ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ الزلزلة: ١

ألم نقرأ في كتاب ربنا ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ القيامة: ١ - ٩

فلماذا نتغافل عن هذه الآية العظيمة ؟

نبينا يَبْكِي فِي صلاة الكسوف في سُجُودِهِ وَيَنْفُخُ، وَيَقُولُ: «رَبِّ لَمْ تَعِدْنِي هَذَا وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ، رَبِّ، لَمْ تَعِدْنِي هَذَا وَأَنَا فِيهِمْ» رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني في الإرواء 396 .

نبينا يخرج لصلاة الكسوف فَزِعًا، يَجُرُّ رِدَاءَهُ ، يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، وَيُصَلِّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ ، ويقول: إذا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ» رواه البخاري .

وها نحن عباد الله بعد ما أصاب القلوب ما أصابها من الظلمة والغفلة والقسوة تمر بنا هذه النذر والآيات، والنفوس هي النفوس في غفلتها وجهلها بالله وآياته ، بل ربما رأيت من سيقضي ليلة الخسوف، بلا صلاةٍ، ولادعاءٍ ولا استغفار بل ربما في سهرٍ مع قنوات الفسق والمجون، وهذا والله هو البلاء المبين والشر المستطير .

عباد الله نحن لا ننكر أنّ لهذه الظواهر الكونية تفسيراتٍ علمية ، ولا نعترض على ما وصل إليه العلم البشري من حساباتٍ دقيقةٍ لبعض المظاهر والآيات الكونية ، فقد أفاض العالم الإمام العملاق شيخ الإسلام ابن تيميه ~ وأتى بتفسير رائع وممتع عن حقيقة كسوف القمرين وأسبابهما، ومعرفة أوقات خسوف القمر وكسوف الشمس قبل وقوعهما في المجلد الرابع والعشرين من مجموع الفتاوى.

لكنّ الانشغالَ بالأسباب المادية والطبيعية، والإعراضَ عن الأسباب الشرعية، هو محور الخلل والزلل، فها أنت ترى لما كثر الخوض في الظواهر الطبيعية، والأسباب الحسية، والمادية ضعفت آية الخسوف والكسوف في نفوسنا حتى صار

أمراً عادياً للتسلية والسياحة والخروج إلى الصحراء والصعود إلى قمم الجبال، وأعالي التلال ليشاهد الناس الحدث العظيم بالمناظير والآلات الحديثة.

هذا ما نقرأهُ ونسمعهُ من بعض وسائل الإعلام ، فذهبت هيبة هذه الآية العظيمة التي يخوف الله بهما عباده.

كلّنا يعلم أن هذا الكون بحوادثه وآياته من نزول للأمطار، وطلوع للشمس من مشرقها، وبزوغٍ للقمر، وسير للهواء بانتظام ، وثبات الأرض واستقرارها وإخراجها لبركاتها .

كُلُّ ذلك ثباته وصلاحه مرهون بصلاح بني آدم فإذا صلح العباد واستمسكوا بالهدى والرشاد تنعموا بنعم الله وآياته وعم الخير في البلاد .

وإذا فسد العباد وعتوا في الأرض بالظلم والفساد .

فسنّة الله باقية، فإذا رأيت الأرض قد تزلزلت، والسيول قد أغرقت، والأمراض الفتّاكة تنوّعت وتكاثرت، وأن الشمس والقمر قد انخسفتا، فافزع إلى كتاب ربك.

لتقرأ في هود ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ هود: ١٠٢

و تقرأ في العنكبوت ﭽ ﭠ ﭡ ﭢﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ العنكبوت: ٤٠

و تتلوا في الإسراء ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ

الإسراء: ٥٩

لتعلم علم اليقين أنّ الذي أوجد هذه النذر ،

وأرسل هذه الآيات ،

وأحدث في الكون التغيّرات هو الله الواحد القهّار ، ولن يستطيع علماء الفلك والطبيعة أن يمنعوها.

لا ولن يستطيع علماء الفلك بكل ما أوتوا من قوة وعلم أن يحولوا بينها وبين وقوعها .

نحن يا معاشر المؤمنين والله بأمسِّ الحاجة إلى إعلامٍ ينصح النّاس عند الخسوف والكسوف ، والنذر، والآيات ، بالفرار إلى الله والفزع إلى بيوت الله للصلاة والتوبة إلى الله ؟

نحن بحاجّة إلى تذكيرٍ بعظم شأنِ حدث الكسوف وصلاةِ الكسوف ، التي تهاونَ النّاسُ بها ، وبالخروجِ إليها ، وحكمتها وأحكامها ؟

نحن بحاجّة إلى من يهمس في آذاننا وقلوبنا بأنّ الله تعالى يغضب ويسخط ويغار إذا دنّست محارمه، وانتهكت شعائره؟

لقد وقفَ النبي يومَ انكسفت الشمس مذكّراً محذّراً من المعاصي والآثام ؟

يقول : « رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أُقَدِّمُ وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ لُحَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلبَكَيْتُمْ كَثِيرًا». متفق عليه .

الله أكبر .. إن القارئ والمستمع لهذه الخطبة النبوية العصماء يعلمُ يقيناً أن الخسوف ليس بظاهرةٍ فلكيةٍ طبيعيةٍ فحسب ..

بل آية يخوف الله بها عباده..

ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ

النحل: ٤٥ - ٤٧

أقول قولي هذا وأستغفر الله ...

الثانية

روي أنّ الأرضَ زُلزِلتْ على عهدِ عمرَ > فقال: أيها الناسُ، ما هذا؟! ما أسرعَ ما أحدثتُم!

إنْ عادت لا أُساكنُكُم فيها.

لقد علم أمير المؤمنين عمر أنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة ، واليوم تأبى كثير من وسائل الإعلام إلا أن تسفه بأقوال الناصحين وتستنكر تحذير العباد من الذنوب والمعاصي.

ولا أدري لماذا يأنف هؤلاء من أن يحذر الناس من المعاصي والآثام ؟

لماذا يكرهون أن يسمعوا قول الله تعالى :

ﭽ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋﰌ ﭼ آل عمران: ١٦٥

وقد قالها الله لأصحاب النبي في أشرف ، وأعظم المواقف، بل في غزوةٍ حفظها القرآن، وشهد الله لقتلاها بالشهادة في سبيله ، والفوز برضاه ، والله تعالى يقول فيها لصفوة أصحاب رسول الله بعد ما أصابهم ما أصابهم ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﭼ آل عمران: ١٦٥

لقد شوّش هؤلاء على فطر العباد ولبسوا قضية ربط الكوارث والخسوف بالذنوب والآثام وهم يرون حدود الله تنتهك ، ويشاهدون جرأة العباد على حرمات الله جهاراً ، ويرون النّفوس الكسالى عن صلاة الفجر والصلوات المكتوبة ، ناهيكم عن أكل أموال الناس بالباطل ، والعقوق ، والخبث والخبائث بجميع صوره.

ثم يشمئزون ويتهمون صاحب الكلمة الصادقة، والنّاصح المشفق، بأنه استغلال للأوجاع وإرهاب فكري .

ولكن الله موعدنا جميعا ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ النساء: ٨٧

انتهت الخطبة